النخب الدينية والسلطة السياسية في الجزائر: ثنائية التأثير والدعم المتبادل

Religious elites and political authority in Algeria: bilateral influence and mutual support

مراد بن قيطة

جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر) ، mourad.benguita@univ-annaba.dz

تاريخ الاستلام: 2021/05/13 تاريخ القبول: 2021/08/08 تاريخ النشر: 2021/09/25

ملخص:

يشكل الدين بعدا مهما في حياة المجتمعات والأفراد، ما يجعل مختلف الموضوعات المنبثقة عنه أو المرتبطة به موضع اهتمام بحثي دائم ومتجدد، إذ لا يمكن فهم واقع أي مجتمع ما لم نقم بقراءته على ضوء هذا البعد وواقع النخب المشكلة والمنتمية له. وعليه؛ يسعى هذا المقال إلى محاولة تتبع الحراك الاجتماعي والسياسي للفاعلين الدينيين داخل المجتمع الجزائري بشكل عام، ومناقشة كيفية تكوين وإنتاج تلك النخب وطبيعة علاقتها بالسلطة السياسية.

كلمات مفتاحية: النخبة، الدين، السلطة، الزوايا، الأحزاب الإسلامية، التوظيف السياسي.

Abstract:

Religion is an important dimension in the life of societies and individuals. It makes all the emerged or associated issues with it a subject of permanent and renewed research since the reality of any society cannot be understood unless its is examined in the framework of this dimension and the reality of the belonging elites. Accordingly, this article seeks to trace the social and political mobility of religious actors within the Algerian society in general, and to discuss how these elites were formed and produced and the nature of their relationship to political authority.

Keywords: Elite; Religion; Authority; zawiya; Islamic parties; Political Manipulation.

1- مقدمة

يكشف تاريخ البشرية عن حقيقة أساسية مفادها أن تاريخ الأمم والشعوب تصنعه وتنجزه دائما جماعات محدودة تقود أممها إلى أن تضع لها مستقبلها ومصيرها، هذه الجماعات هي النخبة سواء كانت ممثلة للأقلية أو للأكثرية. ولذلك تعتبر ظاهرة النخبة من الظواهر الاجتماعية التي ظلت تنطوي دراستها دائما على أهمية كبرى ضمن سياق محلي وعالمي يتسم بالتغيرات والتحولات المرتبطة بكافة جوانب الحياة الاجتماعية.

ولما كان الجانب الديني من أبرز المجالات التي اكتسحها هذا التحول والتغير، فقد أضحت دراسة النخب الدينية بالنظر لسلطتها ولتواجدها البارز والملفت في الحقل الدين والسياق الاجتماعي الجديد الذي تشهده كافة المجتمعات المعاصرة والمجتمع الجزائري على وجه التحديد، مسألة على غاية كبرى من الأهمية العلمية والعملية، وذلك لمعرفة الدور الذي تمارسه هذه النخب اليوم، والكشف على مستوى التمثيل الذي تلعبه داخل المجتمع.

وتعتبر إشكالية الدولة في علاقتها بالمجتمع ومؤسساته، من أعقد وأوسع الإشكاليات التي يطرحها واقع البحث في التاريخ الاجتماعي والسياسي للجزائر، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بعلاقة النخب الدينية بالسلطة السياسية، والرهانات المعلنة وغير غير المعلنة من قبل هذه الأخيرة (أي السلطة) على احتواء وتوظيف تلك النخب واستغلالها داخليا وخارجيا خاصة وأن تلك القوى لازالت تحظى في كثير من مناطق البلاد بنفوذ كبير على شرائح واسعة من المجتمع الجزائري.

لقد شكلت عودة نشاط الزوايا والطرق الصوفية والجمعيات ذات التوجه الديني وبعض الأحزاب والشخصيات الدينية الأخرى منذ بداية عهد التعددية الاجتماعية والسياسية التي كرس لها التحول الدستوري لسنة 1989م، وانخراطها الواسع في الحياة الاجتماعية والسياسية وعلاقتها بالمجتمع بالنسبة للكثير من الباحثين منطلقا لصياغة الفروض حول طبيعة هذه المؤسسات الاجتماعية الدينية وعلاقتها بالدولة، وأسباب هذا التحول في مسار ومواقف تلك القوى وخروجها من عالم القداسة إلى عالم السياسة ومن الانزواء إلى الانفتاح.

1.1 إشكالية الدراسة:

بناءً على ما سبق؛ سنحاول معالجة موضوع هذه الدراسة انطلاقا من طرحنا للإشكالية على شكل سؤال مركزي على النحو الآتي: **كيف تتشكل النخب الدينية في الجزائر وما طبيعة علاقتها بالسلطة السياسية؟**

ويتفرع عن هاته الإشكالية الأسئلة الفرعية التالية:

- ما مفهوم النخبة عامة والدينية على وجه التحديد؟
- كيف تتشكل النخب الدينية في الجزائر، وماهي أهم خصائصها وأطرها التنظيمية؟
- ما طبيعة علاقة تلك النخب بالسلطة السياسية؟

- هل مازالت هذه النخب تتمتع بنفس السلطة السياسية على المجتمع الجزائري، أم أنها مجرد أداة موجهة من قبل السلطة لخدمة أهدافها وسياساتها داخليا وخارجيا؟

وستكون معالجة هذه الإشكالية والإجابة على الأسئلة الفرعية وفق خطة تتضمن العناصر التالية:

- في مفهومي النخبة والدين
- تكوين النخب الدينية في الجزائر: ما بين النمط التقليدي والنمط العصري
- خارطة الفواعل والقوى الدينية بالجزائر
- تطور علاقة النخب الدينية بالسلطة السياسية في الجزائر: جدلية التأثير والتأثر والاستغلال

2.1 منهج الدراسة:

للإحاطة بمختلف جوانب موضوع الدراسة وللإجابة على التساؤل المطروح والأسئلة الفرعية تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لتحديد وضبط مفاهيم الدراسة، ولتحديد طبيعة العلاقة ما بين متغيريها الأساسين (النخب الدينية والسلطة السياسية).

3.1 أهمية الدراسة:

إن أهمية موضوع النخب الدينية وقيمته العلمية، تتأكد أكثر بالنظر إلى راهنية بعض الأسئلة والقضايا الأساسية التي طرحت وما تزال على مستوى إشكالية السلطة، وطبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع في جزائر الأمس واليوم، من خلال إبراز بعض الجوانب والقضايا النظرية والسياسية التي قد يثيرها هذا الموضوع على مستوى الراهن الاجتماعي والسياسي، إذ أبدت السلطة في الجزائر مؤخرا اهتماما متزايدا بالزوايا والطرق الصوفية وباقي الفواعل الدينية الأخرى باعتبارها من أهم المؤسسات الروحية التي حافظت على الشخصية الوطنية والهوية الحضارية للشعب الجزائري من جهة، وتوجه السلطة السياسية من جهة ثانية نحو توظيف واستغلال الرصيد الروحي والمجتمعي لتلك الفواعل لخدمة أهدافها وغاياتها المتنوعة.

4.1 أهداف الدراسة:

- فهم أسباب وعوامل التحول في وظائف وتوجهات هذه النخب.
- طبيعة العلاقة التي تربط النخب الدينية بالسلطة السياسية في الجزائر، وهل تملك تلك القوى القدرة على أداء أدوارها في ظل علاقتها الصعبة مع السلطة.

2. في مفهومي النخبة والدين

1.2 النخبة : إشكالية المفهوم

لغويا؛ تشتق كلمة النخبة في اللغة العربية من الفعل انتخب أي اختار، والانتخاب هو الاختيار والانتقاء، فنخبة القوم تعني خيارهم، أما لفظ الصفوة فهو يدل على معنى الخلاصة، فاصطفى الشيء أي اختاره أو استخلصه. كما أن

هناك من يرى بأن مفردة "الصفوة"هي نفسها كلمة "النخبة" والصفوة مشتقة من صفا، يصفو، صفوا. ويقال صفا فلأن القدر بمعنى أخذ واستخلص ما فيها، والمصطفى هو المختار والصفي هو النقي من كل شيء[1].

- أما في اللغة الفرنسية فإن كلمة النخبة (Elite) فإنها مشتقة من الأصل اللاتيني (Ex-legree) الذي يعني قطف و إختار وجمع.

- أما معنى النخبة في اللغة الإنجليزية و الألمانية فإنه يشبه نفس المعنى المستعمل في اللغة الفرنسية غير أن هذه المفردة في اللغة الإسبانية فهي مشتقة من Los mas selecto [2]

أما اصطلاحا؛ فقد عرفتها القواميس الإنجليزية بأنها أقوى مجموعة من الناس في المجتمع ولها مكانتها المتميزة وذات الاعتبار، وعرفها العالمان الإيطاليان موسكا، وباريتو بأنها الأقلية المنظمة نسبيا التي تحكم الأكثرية غير المنظمة وهي تسيطر بفضل قدراتها المتفوقة وبفضل رصيدها الثقافي، وهي جماعة تتمتع بالقوة الاقتصادية والسياسية والامتياز والمكانة، إما بشكل مكتسب، أو موروث أو هي جماعات وظيفية ومهنية تحظى بمكانة عالية في المجتمع[3] . ويرى "توماس بوتومور" أن أقدم استخدام لكلمة "نخبة" في اللغة الانجليزية وفقا لقاموس أكسفورد كان في سنة 1823، حيث أنه تم توظيف مفهوم "النخبة" (Elite) في القرن السابع عشر لوصف السلع ذات النوعية الممتازة، ثم اتسع هذا المفهوم للدلالة عن الجماعات الاجتماعية العليا كبعض الوحدات العسكرية العليا أو المراتب العليا من النبالة [4].

أما سوسيولوجيا وحسب المعجم النقدي لعلم الاجتماع فإن "باريتو" هو الذي أعطى صيتا لمصطلح النخبة إذ يرى بأن النخبة هم أفراد توفرت فيهم شروط التميز والنجاح في إطار نشاط اجتماعي معين حيث يقول في هذا الشأن"... لنضع إذن طبقة من الذين يتمتعون بالمؤشرات الأكثر ارتفاعا في الفرع الذي يؤدون فيه نشاطهم ولنعط لهذه الطبقة اسم النخبة..." [5]وعلى هذا الأساس فان النخبة هم طبقة متميزة بخصائص نفسية واجتماعية تبوئها مراكز الطليعة في مجالات اجتماعية واقتصادية وفنية معينة.

يبدو من السهولة أن نورد عدة تعريفات نظرية لتحديد مفهوم ما، ومهما يكن فيها من اختلاف فإنه يمكن التوليف بينها أو استخلاص عناصرها وهذا لا يخلو من إشكال في حال تعريف النخبة ويزداد الأمر تعقيدا حينما نحاول

---

[1] - مولود سعادة، النخبة والمجتمع: تجدد الرهانات، **مجلة الباحث الاجتماعي**، العدد 10، سبتمبر2010، ص98.

[2]- عبد الله كبار، النخبة الجامعية والمجتمع المدني في الجزائر: قراءة سوسيولوجية في جدلية الواقع والممارسة، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، العدد 11، جوان 2013، ص 216.

[3]- نفس المرجع.

[4]- توماس بوتومور، **الصفوة والمجتمع: دراسة في علم الاجتماع السياسي**، تر: محمد الجوهري وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1988، ص 25.

[5]- ريمون بودون وفرانسوا بوريكو، **المعجم النقدي في علم الاجتماع**، تر: سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 553.

تجسيد هذه التعريفات في مدلولها الواقعي ونكتفي هنا بذكر النموذج الذي ذكره بوتومور حيث يقول : " من بين الفئات الاجتماعية التي ارتفعت إلى مراتب الأهمية في التغيرات الاجتماعية والسياسية الهائلة في القرن العشرين ثلاث نخب :المفكرون، مديرو الصناعات، وكبار الموظفين الحكوميين يشار إليها عادة بأنها وارثة وظائف الطبقات الحاكمة السابقة، وأنها عوامل حيوية في خلق أشكال جديدة للمجتمع"[1].

وتقوم الفكرة الأساسية للنخبة، على وجود أقلية صغيرة في كل المجتمعات البشرية، بغض النظر على نوع الحكومات القائمة، والتي تضطلع بدور كبير في اتخاذ القرارات السياسية، وتهيمن على عملية التخصيص السلطوي للقيم، كما تقوم أيضاً على أن هناك فئة محكومة كثيرة العدد من الجماهير تطيع الأوامر وتنفذ قرارات الأقلية كنتيجة حتمية لبناء القوة في أي مجتمع. كما تشير كلمة نخبة إلى الأقلية التي تتمتع بمكانة مميزة داخل ميدان اختصاصها، سواء في الميدان الثقافي (نخبة ثقافية)، أم الاقتصادية (نخبة اقتصادية)، أم العسكرية (نخبة عسكرية)، أو سياسية (نخبة سياسية)، وهذا راجع إلى التطور الذي عرفته المجتمعات الغربية المعاصرة، فإننا لا نجد إلا نخبة واحدة وإنما هناك نظام مركب من النخب المتخصصة.

تبعا لما سبق فإنه هناك أربعة أنواع من النخب، حسب النشاط الاجتماعي كلها لها أدوار قيادية في مجال تخصصها، وهي بدورها تحتوي على عدد من النخب الفرعية[2]:

- النخبة السياسية؛
- النخبة الاقتصادية، العسكرية، الدبلوماسية، العلمية؛
- النخبة التي تمارس سلطة معنوية، كالنخب الدينية؛
- النخبة التي تجعل المجتمع مترابط نفسيا وعاطفيا، ويتكون من المشهورين والنجوم من الفنانين والكتاب والرياضيين.

ويعتبر فلفريدو باريتو أن النخبة تتكون من جميع الأشخاص الذين يظهرون نوعا من الاستعدادات البارزة في ميدانهم، أو أنشطة أخرى ذات علاقة، أي أن لهم صفات خاصة، ويدخل في نطاق النخبة كل من بواسطة عمله أو مواهبه الطبيعية يحقق نجاحا بارزا لبقية أفراد المجتمع.

1.1.2 مميزات النخبة

إن توافر مميزات معينة في الأفراد لكفيلة بأن تؤهلهم الى الانتماء الى مصاف النخبة والتي نجد من بينها[3]:

[1]- توماس بوتومور، مرجع سبق ذكره، ص72 .

[2]- ثروت مكي، **النخبة السياسية والتغير الاجتماعي**، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2005، ص23.

[3]- عبد الله كبار، مرجع سبق ذكره، ص 220.

- **التميز**: ينظر أصحاب الاتجاه السيكولوجي في تناول "النخبة" ومنهم "باريتو" إلى أفرادها باعتبارهم عناصر يشكلون فئة تتوفر فيها مميزات النبوغ والتفوق والذكاء والقدرة على القيادة والتميز على الآخرين في النشاطات التي يشرفون عليها، وحسب نظرهم فإن هذه المميزات الذاتية هي التي تجعلهم في صدارة الطبقات الاجتماعية.

- **التنظيم**: من بين مميزات النخبة حسب أنصار الاتجاه التنظيمي والذين نجد من بينهم "موسكا" وتلميذه "متشلز" اعتقادهم بأن آية مجموعة لا يمكنها الوصول الى مصاف الفئة النخبوية إلا إذا توفرت فيهم القوة التنظيمية وتقديرها الدقيق لمصادر السلطة ومراكز القوة في المجتمع، وتعد هذه الميزة من بين أهم الميزات التي تختص بها النخب الحالية خاصة في عهد العولمة المبنية على المصالح والتحالفات.

- **الاحتكار:** تسعى النخب إلى احتكار رؤوس الأموال المتوفرة أو المكتسبة لديها سواء كانت من طبيعة مادية اقتصادية أو سياسية أو ثقافية أو رمزية...الخ، لأنها تشكل مصدر قوة النخبة، ورهان استمرارها في ذلك الوضع المتميز، وفي حالة ما إذا لم تتوفر لديها تلك المصادر فإنها ستسعى للحصول عليها بكل الطرق المتاحة.

- **الدوران**: مثلما يمكن للأفراد الانتقال من طبقة الى أخرى عبر ما اصطلح عليه علماء الاجتماع "بالحراك الاجتماعي" فكذلك الأمر بالنسبة للنخبة، حيث أنه يمكن للأفراد أن يدوروا بين نخبة واحدة، أو بمقتضى عملية تحتل فيها نخبة معينة مكان نخبة أخرى، كما يمكن لأفراد من الطبقات الفقيرة أو المتوسطة الوصول الى مستوى الطبقات الحاكمة خاصة في مجال السياسة.

1.2.2 مصادر إنتاج وصناعة النخبة

يمكن القول بأن إنتاج النخبة وتكوينها يختلف حسب الظروف والسياقات الزمكانية لكل مجتمع، لكن هذا الاختلاف لا يغني عن التحديد الذي وضعه الفيلسوف الايطالي "أنطونيو غرامشي" الذي رأى بأن كل فئة اجتماعية هي مسؤولة عن خلق وإيجاد مثقفيها، فالطبقة العصرية ستختار مثقفين عضويين، أما الطبقات الآيلة للزوال فحتما سترتبط بمثقفين تقليديين[1]. وبهذا سيشكل هؤلاء المثقفين نخبا مستقبلية إذا توفرت لهم شروط معينة. وفي واقع الأمر يمكننا أن نؤكد بأن صناعة النخبة تتم وفق مصدرين مختلفين وهما[2]:

- **مصدر رسمي**: حيث أن إعداد النخبة يتم بطريقة موجهة وفي إطار مؤسسات رسمية ولأهداف محددة ومخطط لها سلفا، فمثلا تعمل الجامعات على إيجاد نخبها الخاصة بها، كما أن التجار ورجال الأعمال يوجدون نخبهم في المدارس العليا لإدارة الأعمال...إلخ.

[1]- الطاهر لبيب، **سوسيولوجيا الثقافة**، دار الملتقى، المحمدية، تونس، 2006، ص39.

[2]- عبد الله كبار، مرجع سبق ذكره، ص221.

- مصدر غير رسمي: حيث أنه يمكن لأي فرد غير مرتبط بطبقة أو مجموعة معينة أن ينجح في مجالات الحياة الاجتماعية وأن يدخل الى عالم النخبة وهو ما يحدث كثيرا في أيامنا هذه ونجد من بينهم العلماء والكتاب، الفنانون، الرياضيون...إلخ.

2.2 معنى الدين ومستوياته

لقد ظل الدين مبحثا يثير انشغال الباحثين والمفكرين منذ القديم، حيث عكفوا على محاولة تفسيره وفهم عناصره، وكشف بداياته ونشأته، ورصد أبعاده وحدوده .وبالرغم من أن المجتمعات الحديثة قد أخذت من الدين مواقف شتى، إلا أن بقائه ودوامه على رأس القضايا الهامة والمسائل البارزة المطروحة في كل المجالات السياسية منها والعلمية والاقتصادية...وغيرها يثبت مكانة الدين وأهميته في ماضي البشرية وحاضرها. ولقد قدمت ولا تزال لنا الدراسات والبحوث المهتمة بالدين، العديد من الآراء والتصورات والاقتراحات حول تعريف الدين وتحديد ماهيته.

لغويا؛ كلمة" Religion" في الفرنسية تقابل لفظة" الدين "في العربية، وقد أرجعت معظم الدراسات اشتقاق هذه الكلمة إلى المصدر اللاتيني، وكأن لا وجود لهذه اللفظة إلا في الحضن اللاتيني. ولعل أغلب ما تحيل إليه هذه البحوث والدراسات وهو رأي دي لاجراسي" De La Grasserie الذي جعل كلمة" Religion" مشتقة من الفعل اللاتيني" Religare "أي"Relier " والتي تعني في العربية ربط أو أوثق، وهو ما ذهب إليه روجيه باستيد" R.Bastide" وغيره من اعتبار كلمة"Religion " ترجع أصلا إلى الفعل اللاتيني"Religere " بمعنى العبادة المصحوبة بالرهبة والشية والاحترام[1].

أما كلمة الدين حسب معاجم اللغة العربية فدلالاتها محتشمة تؤخذ تارة من فعل متعد باللام "دان له"، وتارة من فعل متعد بالباء " دان به". فأما دان له فتعني الخضوع والانقياد والاستسلام لطرف ما، وأما دان به أي اعتقده أو آمن به . كما أشارت إليه الاشتقاقات اللغوية السابقة فهو العلاقة التي ترب الناس أفرادا أو جماعات بقوة أخرى. وللدين من خلال ما هو كائن مستويات في حياة الأفراد والمجتمعات، وأن مرد الاختلاف الكائن بين المحاولات المتعددة في تعريف الدين يرجع في تصوري إلى عدم حصر هذه المستويات التي لم ولن يخرج الدين على إطارها، فهي قد عرفتها البشرية أفراد وجماعات إما كاملة أو ناقصة ولكنها لم تكن يوما منعدمة تماما. وهذه المستويات هي[2]:

1.2.2 الشعور :إن الشعور بالارتباط الديني هو أول مراتب الدين لدى الأفراد والجماعات (الشعور الفردي والشعور الجمعي)، وهو مستوى قائم في نطاق الأحاسيس والعواطف والوجدان ليقر بِتهيؤ الإنسان لاستقبال الطبع الديني .ولقد

[1]- فضيل حضري، مستويات الدين وأشكال التدين: محاولة تصنيفية، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، العدد 11، 2011، ص179.
[2]- نفس المرجع، ص ص 180-181.

كتب ماكس نوردو "M.Nourdau " عن الشعور الديني قائلا :" هذا الإحساس أصيل يجده الإنسان غير المتدين، كما يجده أعلى الناس تفكيرا، وأعظمهم حدسا وستبقى الديانات ما بقيت الإنسانية..."[1].

ولقد أشار العديد من العلماء والباحثين في تعريفهم للدين إلى هذا المستوى القاعدي من أمثال م.رافيل "M.Reville" وماكس موللر "M.Muller" إلى ف.شلرماخر"F.Schleirmacher" و رودولف أوتو"R.Otto" ولمثل ذلك أيضا ذهب هربرت سبنسر "H.Spencer ". كما أصر أيضا العديد من العلماء والباحثين عن حقيقة هذا الشعور وثباته في تجاربهم الاصلية أثناء تعاملهم أو مواجهتهم لمواقف دينية، ومن بين هؤلاء مثلا نجد توكفيل " A. de Tocqueville الذي يعترف قائلا: " إنني لست مؤمنا لكن أيا كان الإيمان الذي أشعر به، إلا أنني لم أستطع مطلقا أن أحمي نفسي من شعور عميق عند قراءة الإنجيل"[2].

2.2.2 الاعتقاد :يعد الاعتقاد المستوى الثاني لمستويات الدين لدى الأفراد .وهو المستوى المتعلق بالقناعات الفكرية الواضحة والمباشرة، وهي ما قد يعبر عنه الإنسان وي صر به في أقواله، وهو أيضا ما يمكن أن يحجبه أو يعكسه حسب رغبته أو حالته، إلا أنه يعد أول أشكال التعبير عن البعد الديني لدى الفرد، كما يد ل هذا المستوى على الموقف الشخصي المبني إ ما عن التقليد والمحاكاة وإما عن الفهم والتفكر والاقتناع، والاعتقاد مستوى نسبي متغير وغير ثابت بالضرورة، فالفرد قد يصبح معتقدا في شيء ويمسي معتقدا في غيره [3]. بل قد يمثل مستوى الاعتقاد لدى البعض محور الدين ولبه، وهو العنصر الأسمى الذي يبرز إنسانية العنصر البشري في علاقته مع الدين، لأنه يعتمد على العقل والتأمل والتدبر والتفكر مما يتميز به الإنسان على غيره، ويجعله واعيا بقراراته وسلوكياته .

3.2.2 الممارسة: وهو المستوى العملي والفعلي(التطبيقي) للأفكار المعتقد بها والأحاسيس الشاعر بها .غير أن هذا المستوى أكثر من سابقه (الاعتقاد) نسبية وتغيرا لأن هناك العديد من الناس من يقف عند حدود المستويين السابقين، ولذلك تطلق غالبا في الكثير من المجتمعات عبارة" المتدينين الممارسين" " Les Pratiquants " والمتدينين غير الممارسين" les Non Pratiquants ". ولقد كان هذا المستوى هو الآخر محور العديد من التعريفات وجوهرها في تحديد ماهية الدين [4].

كما أن الدين لا يمكن أن يشكل ظاهرة اجتماعية إلا عندما ينتقل إلى مستوى الممارسة عموما والجماعية خصوصا، وبما أن الدين من خلال هذه المستويات قد لا يبرز كظاهرة اجتماعية حينما يكتفي أفراد المجتمع بالمستويين

---

[1]- نفس المرجع.

[2]- أمل مبروك، **فلسفة الدين**، ط2، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2009، ص 22.

[3]- نفس المرجع، ص 24.

[4]- نفس المرجع.

الشعوري والاعتقادي، فمظاهر الدين المتعددة تجعل إدماجه واعتباره ظاهرة اجتماعية صرفة هو مجازفة علمية، فهو قد يكون ظاهرة نفسية حينما يكون في المستوى الأول ويكون ظاهرة فكرية حينما يكون تصورا واعتقاد.

استنادا على ما تقدم في تفكيك العلاقة بين النخبة والدين، وبعد استجلاء الغموض الذي يلف هذين المفهومين وما قد يؤدي الجمع بينهما من صعوبة أكبر في تحديد مفهوم النخب الدينية خصوصا، فإنه بإمكاننا القول بأن **النخبة الدينية هي وسط سوسيو- ديني يشير إلى فئة تتمتع بقدر متميز من العلم الديني وشؤونه وما يرتب به من وظائف كالإفتاء والقضاء والتعليم، ولها سلطتها العلمية والدينية ولها نفوذها على باقي الفئات الأخرى كما لها مصـــالحها المشتركة وأدوارها.**

3. تكوين النخب الدينية في الجزائر: ما بين النمط التقليدي والنمط العصري

1.3 التكوين التقليدي:

عرفت الجزائر قبل الفترة الاستعمارية وبعدها بروز وظهور الكثير من العلماء والفقهاء والشيوخ من أبنائها، ولقد كان لأبناء الجزائر أربعة مراكز للتكوين والتعليم منها ثلاثة مراكز داخلية هي (المساجد، الزوايا، المـــدارس الرسميـــة)ومركز خارجي متمثل في (الزيتونة والقرويين، الأزهر والحجاز) .

وعلى الرغم من تعدد المنارات الدينية إلا أن المؤرخين يجمعون على أن أولى مؤسسات إنتاج النخب الدينيـــة حضورا في منطقة المغرب الأوسط على المناطق التي وصلها الإسلام هي المساجد، حيث بقي المسجد حاضرا وظل دوره قائما مستمرا منذ أول تأسيسه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآن. ومنذ أول مسجد بني على أرض الجزائر بوصول الفتوحات إليها، وهذه المؤسسة تمارس دورها في الإيواء والتعبد وإقامة المجالس والنشاطات الطقوسية كالذكر والميعاد وقراءة الأشعار والرقائق...غير أنها بدأت تتقلص وتتناقص شيئا فشيئا ابتداء من أواسط القرن (07ه) (13م) نتيجة انتشار الزوايا وبداية استقطابها للنشاط الصوفي .

كما يؤكد المؤرخون على وجود مساجد وجوامع في الجزائر كانت تضاهي المراكز والمعاهد العالمية التي كانت منارات للتعليم الديني .كما لا تفوتنا الإشارة هنا في متن الحديث عن دور المسجد في التكوين والتعليم إلى ما ذكره ابن خلدون في مقدمته من أن كل أنواع العلوم والمعارف والفنون والصناعات إنما كانت تدرس بالمساجد .ولقد تلقاها هو نفسه في المساجد، كما كان أيضا يتطوع هو بنفسه للتدريس في مساجد الجزائر خصوصا مسجد القصبة في بجاية على عهد ولايته الحجابة لأمراء الدولة الحفصية [1].

[1]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج1 ،ط09، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 75.

وتأتي في المرتبة الثانية مؤسسة الزوايا والتي تعتبر جامعة دينية وملجأ مجانا، لذلك فإنها تقوم بجميع مراحل التدريس الثلاث، أما التكوين الخارجي لعناصر النخبة الدينية الجزائرية فلقد كان حاضرا بقوة، بل إنه على حد تعبير محفوظ سماتي كان يعد من سمات الثقافة الإسلامية للمجتمع الجزائري وآلية من آليات إعادة إنتاج الورثاء (les héritiers)ولذلك ارتفعت نسبة الجزائريين المتوجهين إلى جامعات الدول المجاورة لمزاولة تعليمهم أو إنهاء دراستهم [1].ومن أبرز الحواضر العلمية التي احتضنت الطلبة الجزائريين جامع الزيتونة بتونس، والذي تخرج منه العديد من الشيوخ والعلماء والفقهاء الذين ذاع صيتهم بعد ذلك في الجزائر وأمثال هؤلاء (الشيخ عبد الحميد ابن باديس، الشيخ مبارك الميلي، الطيب العقبي ..وغيرهم).

ولا يزال هذا التكوين الديني الخارجي قائما إلى اليوم سواء بصفة فردية يقوم بها بعض الشباب لإنهاء دراساتهم في إحدى هذه الجامعات، أو بصفة جماعية تقوم بها السلطات الرسمية المتمثلة في وزارة الشؤون الدينية بإرسال بعثات لفئات من الطلبة للتكوين في هذه الجامعات.

2.3 التكوين العصري:

إن الحديث عن التكوين العصري للنخب الدينية لا يجعلنا نستثني أو نلغي حضور ودوام المؤسسات التقليدية السابقة خصوصا مؤسستي" الزاوية "و"المسجد "وذلك لأن دورهما قد ظل كما كان عليه في السابق على الرغم من بعض فترات الضعف التي عرفتها كل من المؤسستين نتيجة تقدم وهيمنة إحداهما على الأخرى إلى الآن .إلا أن المقصود بهذا التكوين العصري هو ما برز من معاهد وجامعات ومراكز حكومية ورسمية للتكوين والتعليم الديني في الجزائر الحديثة والمستقلة.

لم تشهد الجزائر ميلاد نواة الدراسات العليا بصفة عامة إلا خلال سبعينيات القرن التاسع عشر حين نشأت مدارس عليا بدأت بالطب ثم الآداب والحقوق والعلوم .لتتحول إلى كليات تضمها جميعا جامعة الجزائر في 1909 وكانت هذه الجامعة آنذاك فرنسية شكلا ومحتوى .أما عن التعليم العالي الديني فلم يظهر إلا في سنة 1946 حينما تحول القسم العالي التابع لمدرسة الجزائر إلى معهد للدراسات الإسلامية العليا لإعداد المدرسين ورجال الديانة [2].

كما أن التكوين الديني الجامعي قد تطور لاحقا وبصفة تدريجية، حيث كانت المدرسة والجامعة منطلقا للصعود الاجتماعي باعتبارها المكان الذي تكون فيه العديد من عناصر النخبة الدينية. وتتواجد اليوم في الجزائر العديد من المؤسسات الجامعية التي تقدم للطلبة تعليما عاليا في العلوم الدينية الإسلامية حيث تعد جامعة الأمير عبد القادر أشهرها

[1] - Smati Mahfoud, **Les élites algériennes sous la colonisation**, Ed DAHLAB, Réghaia, Algérie, 2009, P 222.

[2] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، طبعة خاصة، دار البصائر، 2007، ص 400.

حاليا وهي التي تأسست سنة 1986 أي بعد 28 سنة من الاستقلال، وتعد هذه الجامعة الوحيدة في الجزائر المتخصصة في العلوم الإسلامية والتي تستقبل طلبة العلم من كافة ربوع الوطن وكذا من بعض الدولة الأجنبية .ثم تأتي باقي المؤسسات والمعاهد تباعا:

- كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية وهران؛
- كلية الاقتصاد والعلوم الإسلامية بالرويبة الجزائر العاصمة؛
- كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية باتنة؛
- معهد أدرار للعلوم الإسلامية.

كما أدركت الجزائر إضافة إلى ذلك ومنذ بداية الثمانينات حاجتها لإنشاء مراكز ومعاهد رسمية لتكوين الإطارات الدينية التي تتكفل مستقبلا بتسيير والإشراف على المؤسسات التابعة للمجال الديني .حيث بدأ العمل قبل ذلك بتأسيس **المدرسة الوطنية لتكوين الإطارات الدينية** بولاية سعيدة سنة 1971، ليليها بعد ذلك تباعا مراكز في الولايات التالية: بسكرة، تيزي وزو، ميلة، تمنراست، غليزان، والجزائر العاصمة التي أنشأ فيها العديد من المدارس المتخصصة[1].

4. خارطة القوى والفواعل الدينية في الجزائر

1.4 الزوايا والطرق الصوفية

يرجع الفضل في نشأة الزوايا والطرق الصوفية بالخصوص إلى حكمة شيوخها الذين أخذوا في حسبانهم البعد المكاني لتغطية المناطق المفتقرة إلى العلم والإرشاد .في البدء ظهرت في المشرق العربي على شكل بيوت كانت ملحقة بالمساجد وكان يتردد عليها العباد والزهاد للانزواء والخلوة فيها ثم تطورت وظهرت على شكل أبنية على أطراف المدن كمصليات صغيرة بدون محراب لإقامة الصلوات. و لم تعرف الجزائر ظهور الزوايا تحديدا إلا بعد القرن الخامس الهجري، ومع مرور الزمن تطور أمر الزاوية وزادت أهميتها وخاصة خلال القرن العاشر الهجري بعد سقوط الأندلس وامتداد الأطماع الأوربية إلى السواحل الجزائرية.

إن أقدم زاوية تأسست في الجزائر هي زاوية الشيخ سعادة بالقرب من طولقة في القرن (06 ه)(13م) ثم انتشرت الزوايا عبر أنحاء البلاد خاصة خلال القرنين (08 ه)(15م) والقرن (09ه) (16م). و كان لسقوط الأندلس

[1]- وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ،**بطاقة فنية للمدرسة الوطنية والمعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية**، تاريخ التصفح: 2021/03/03 على الساعة: 15.30، متوفر على الرابط التالي: https://bit.ly/33bll0m

والاحتلال الإسباني والفراغ الإداري واستيعاب السكان لتقبل أي حركة روحية إسلامية لكل ذلك أثر بالغ في انتشار الزوايا[1].

لقد سمح تعدد الزوايا بالجزائر بوجود أنظمة مختلفة أدت إلى وجود ثلاثة أنواع من الزوايا وهي:

- **زوايا المشايخ :**يعتبر هذا النوع من الزوايا ملكية خاصة لشيخ ويتصرف فيها كما يشاء وبعضهم يعيش هو وعائلته من موارد الزاوية ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي. وصاحب هذه الزاوية يكون عادة صاحب طريق ، ويعرف عادة بشيخ الطريقة الذي يعطي الأوراد أي الميثاق، وهذا الشيخ له أتباع ومريدون يسمون الإخوان، حيث تقوم الزاوية على أكتاف هؤلاء المريدين والمحسنين الذين يمولون الزاوية ويجمعون لها الزكاة والصدقات والتبرعات من الشعب، ويقدمونها للشيخ الذي يعتبر صاحب الحل و العقد في شؤون الزاوية[2].

وعلى سبيل المثال نجد من زوايا المشايخ في الجزائر زاوية علي بن عمر بطولقة ، زاوية الهامل القاسمية ببوسعادة وزاوية الحملاوي بقسنطينة وزاوية الشيخ بلكبير بأدرار.

- **زوايا المرابطين :** وهي ملكية جماعية، فمواردها محبسة عن طلبات العلم فالمرابطون أحفاد المؤسس الأول للزاوية لا حق لهم أن يأخذوا شيئا من الأموال من زاوية جدهم والزكاة والصدقات والتبرعات والنذر والهبات سواء كانت نقود أو حيوانات هي للزاوية وحق لطلبة العلم والفقراء الذين يقصدون الزاوية، كما أن زوايا المرابطين ليس لها طريقة صوفية ولا مريدون كزوايا المشايخ [3].

- **زوايا الطلبة :**وهذا النموذج الوحيد من زوايا نجده في زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي التي تقع في عرش إيلولة دائرة عزازقة ولاية تيزي وزو وأسست عام 1635م. إن هذه الزاوية تختلف عما سبقها فطلبتها يتمتعون بالاستقلال التام في تسيير شؤون مؤسستهم فلا يتدخل أحد فيها، والطلبة وحدهم هم المسؤولون عن الزاوية وتدبير شؤونها داخليا وخارجيا، علميا واقتصاديا والزاوية من هذا الشكل تكون بعيدة عن أي نوع من الضغوطات أو التدخلات، فهي تسير من طرف طلبتها ولا تخضع لشيخ أو مرابط بل وحتى للشيخ الذي يعلم فيها .فالشيء الوحيد الذي يخضع له الجميع ويمتثلون له ولا يخالفونه إنما هو القانون أي قانون الزاوية أو ما يمكن أن يطلق عليه باسم اللائحة الداخلية للزاوية[4].

---

[1] - أبو القاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص 272.

[2] - طيب جاب الله،" دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري"، **مجلة معارف**، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 14، 2013، ص 141.

[3] - المرجع نفسه.

[4] - محمد نسيب، **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر، الجزائر،1989 ، ص 119.

كما تنقسم الزوايا حسب التسمية إلى ثلاثة أنواع [1] :

- زاوية تنسب إلى شخص ميت تقدره الناحية عادة ما يكون شيخ طريقة.

- زاوية تنسب إلى الطريقة الصوفية.

- زاوية تنسب إلى مكان وجودها وهي ما تعرف بالزوايا المطلقة.

2.4 الجمعيات ذات التوجه الديني

1.2.4 جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

تنظمت في شكل هيئة سميت بـــ " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " وتأسست في 5 ماي 1931م ، بمجلس إداري يتكون من 18 عضوا .وقد عين فيه الشيخ عبد الحميد ابن باديس خريج الزيتونة رئيسا لها، خلفه من بعد وفاته الشيخ البشير الإبراهيمي إلى غاية انضمامها في حزب جبهة التحرير الوطني سنة 1956 كنتيجة حتمية لها ولبـــاقي الأحزاب السياسية .كانت أهداف الجمعية متمحورة أساسا على الحفاظ تنقيته من كل الضلالات التي لحقت به، وكان هذا حسب رؤاها السبيل الوحيد والأمثل لإعادة بناء المجتمع والنهوض به.

ويؤكد الكثير من الباحثين حول تاريخ الجمعية أن تاريخ دخولها العلني للمجال السياسي كان عام 1936 إثر مشاركتها في المؤتمر الإسلامي لذي انعقد بباريس والذي نادى به ابن باديس، وقبل هذا التاريخ فقد كانت منغمســـة بإصلاح الدين ونشر العربية وإخراج المجتمع الجزائري من الغفلة والجهل .على الرغم من تصريح قانونها بعدم التدخل والممارسة السياسية .كما كان رئيسها الأول عبد الحميد ابن باديس مصلحا دينيا واجتماعيا مجددا، وكان أول من دعا إلى الإصلاح على الطريقة السلفية في المغرب العربي [2].

وهكذا فإن فكرة إنشاء جمعية للإخاء العلمي الذي بدأ منه 1925 تجسد في الواقع في شكل جمعية سميت بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931 أسست من قبل جماعة ينتمون إلى" جريدة الشهاب " حيث هم الذين نجدهم على رأسها، وقد تم حلها بعد الاستقلال وزج رئيسها الإبراهيمي في السجن.

عادت جمعية العلماء المسلمين إلى الواجهة مرة أخرى في سنة 1991 بقيادة الشيخ أحمد حماني إلا أن انطلاقتها المعروفة اليوم ترجع إلى سنة 1999 مع الشيخ عبد الرحمن شيبان العضو السابق في نفس الجمعية، وانتشرت فروعهـــا ومكاتبها في معظم أرجاء الوطن.

[1] - طيب جاب الله، مرجع سبق ذكره، ص 141.

[2]- رابح تركي، **الشيخ عبد الحميد ابن باديس - رائد الإصلاح والتربية في الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ص185 .

2.2.4 جمعية الإرشاد والإصلاح

هي جمعية أهلية جزائرية غير حكومية ذات طابع- اجتماعي تربوي ثقافي تأسست بتـــاريخ 12-02-1989 على يد الشيخ" محفوظ نحناح واعتمدت من طرف وزارة الداخلية بتاريخ 11-09-1989 تحت رقم 0064/053 ، وعين الشيخ محمد بوسليماني أول رئيس وطني لها، ومن أهم أهدافها ما يلي[1] :

- المساهمة في البناء الحضاري للأمة وتنمية شخصيتها بما يتماشى ومتطلبات العصر؛
- العمل من أجل جمع الأمة حول المبادئ التي تضمن الوحدة ومناصرة الحق والعدل في ظل القيم النبيلة والعمل على نشر ثقافة السلم ورعاية حقوق الإنسان؛
- العمل على ترقية المرأة وتفعيل دورها الحضاري وحماية الأسرة الجزائرية وتثمين رصيدها؛
- العمل على خدمة المجتمع وحمايته من الآفات والانحرافات والأخطار من خلال عمل اجتماعي فعال؛
- دعم تعميم استعمال اللغة العربية وتشجيع تعليم اللغات الأخرى.

3.4 الأحزاب ذات التوجه الديني

عرفت الجزائر حركة الأحزاب منذ فترة ما قبل الثورة التحريرية، ورغم تواجد الحزب الشيوعي والأحـــزاب الوطنية إلا أنها لم تعرف أبدا أحزابا إسلامية، وحتى جمعية العلماء المسلمين رفضت اقتحام السياسة وحافظت علـــى دورها الدعوي والتربوي، وظل التفكير في إنشاء أحزاب إسلامية حتى السرية منها شبه مستحيل خاصة في عهد الرئيس الراحل هواري بومدين، إذ بقيت الحركات الإسلامية على اختلاف مشاربها الفكرية وتوجهاتها الايديولوجية في السر والكتمان، إلى أن توفرت بعض الظروف الداخلية والخارجية في أواخر السبعينات من القرن الماضي، حيث ظهـــرت جماعات الدعوة في مختلف المساجد، وهي جماعات لا علاقة لها بالسياسة و لم تدخل بعد ذلك عالم السياسة، إذ بقـــي هدفها دعويا بحتا.

ولقد اتسعت وتنوعت خريطة التنظيمات الإسلامية السياسية في الجزائر مع اعتماد دستور سنة 1989م الذي أقر التعددية الحزبية، حيث سارعت الأحزاب إلى طلب الاعتماد فبلغ عددها حوالي ستون حزبا جلها لا يملك مقرات إدارية أو قاعدة شعبية أو برامج سياسية. وكانت الجزائر عندما بدأت التعددية الحزبية قد ظهرت بهـــا العديـــد مـــن الأحزاب التي اقترن اسمها بكلمة الإسلام مثل الحزب المحظور الجبهة الإسلامية للإنقاذ والحـــزب العـــربي الإســـلامي البومدييني لصاحبه المحامي سعدي والجزائر المسلمة المعاصرة للدكتور أحمد بن محمد، قبل أن يقرر السيد جاب الله عبد الله دخول المعترك السياسي وهو الذي انتقد في البداية كل الإسلاميين الذين دخلوا السياسة وانشئوا الأحزاب.

إن التيار الإسلامي مع بداية سنة 1989 عرف تطورا ملحوظا عن طريق تهيكله في أحزاب سياسية جديـــدة، وهذا ما اعتبر حدثا هاما في تاريخ الحركة الإسلامية في الجزائر، حيث خرجت ولأول مرة من السرية إلى العلن متمثلة في العديد من الأحزاب السياسية أبرزها :الجبهة الإسلامية للإنقاذ (المنحلة)، حركة مجتمع الســـلم، حركـــة النهضـــة الإسلامية، حركة البناء الوطني.

5. تطور علاقة النخب الدينية بالسلطة السياسية في الجزائر: جدلية التأثير والتأثر والاستغلال

مع ميلاد الدولة الجزائرية المستقلة والمصبوغة بطابع الوطنية بدأت البينة الاجتماعية التقليدية في التفكك، فحـــل الانتماء إلى الوطن محل الانتماء إلى القبيلة والعرش، وحل الولاء للدولة ولمنظومتها الثقافية والرمزية محل الولاء للقبيلة ولثقافتها ومنظومة رموزها ومعتقداتها . لقد ظل المجتمع التقليدي يمثل إطارا مناسبا ليكون الدين وما يرتبط به من عقائد وتمثلات شعبية أهم مصدر لتشكل الوعي الجمعي والمتخيل، بينما غدا المجتمع الناشئ على أنقاضه والمؤسس على مبدأ الانتماء إلى الوطن إطارا مناسبا لتقبل ثقافة حديثة بأشكال جديدة في المعرفة تنتسب إلى العلم وإلى أسسه الفلســـفية الحديثة وتستند في الفعل إلى التقنية وعقلانيتها.

ومن أجل أن تضمن الدولة الجزائرية ذلك عمدت كغيرها من الدول الوطنية المستقلة حديثا إلى تجســـيد عملـــي لاستراتيجيتها القائمة على تحييد القوى التقليدية المحافظة وتجميد المؤسسات المرتبطة بها مثل: الزوايا والكتاتيب وغيرهما وعملت على تفعيل المؤسسات الجديدة التي أنشأتها وخاصة منها المؤسسة التعليمية، ذلك أن مشروع الدولة الوطنية قد قام على اعتبار المدرسة أداة تعيد تشكيل المجتمع ووسيطا فعالا يمكنها من الاستئثار بسلطة نشر المضـــامين الفكريـــة والثقافية والنماذج السلوكية المنسجمة مع توجهاتها والمكرسة للاندماج في صلب منظومتها[1].

كما عملت الدولة على فرض رقابتها على سائر ما يرتبط بها من المؤسسات من مساجد وزوايـــا وكتاتيـــب وجمعيات دينية، كما تمكنت من تفتيت الأساس الاقتصادي لوجود الزوايا التي وجدت نفسها بفعل ذلك مهمشة بفعل مصادرة ممتلكاتها كالأوقاف والأحباس خاصة عند تطبيق قانون الثورة الزراعية وتأميم ممتلكات الواسعة لصالح الدولة وإعادة توزيعها[2].

لقد استطاعت سياسة التحديث الراديكالي الذي عرفه المجتمع في الفترة الممتدة مـــن الاســـتقلال إلى مطلـــع التسعينيات من القرن الماضي أن يحد من نشاط المؤسسات الدينية التقليدية ويؤدي إلى تراجع وانحسار التدين الشعبي في مقابل تشجيع أو التغافل التدين الرسمي الذي أخذ يتطور، ما سمح بظهور الحركة السلفية والحركات الأصولية المتطرفة، والذي أنتج لاحقا أحزاب سياسية ممثلة في حزب جبهة الإنفاذ الوطني التي دخلت في صراع سياسي ومسلح مباشر مع

[1] - Abdelwaheb Bouhdiba, **culture et société,** publication de l'université de Tunis, **Tunis** , 1978, p 188.

[2]- زهية جويرو، **الاسلام الشعبي**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،2007 ، ص 85.

السلطة القائمة. وقد أسهمت هذه الاستراتيجية في تغير بنية خارطة القوى والفواعل الدينية لصالح قوى جديدة كالأحزاب والجمعيات ذات التوجه الديني.

وعمدت السلطة السياسية في الجزائر ومنذ مطلع تسعينيات القرن الماضي في ظل تنامي الاحتجاجات الشعبية ضد اختياراتها الاقتصادية، والأزمة السياسية ومن أجل محاصرة ومحاربة (الإسلام السياسي) الأصولي المتطرف (الذي مثلته أحزاب سياسية قامت على أفكار دينية جهادية متشددة إلى تشجيع عودة إسلام الزوايا (الإسلام الشعبي) في الأوساط الريفية والمدنية المهمشة[1]. ومن الواضح أن تدين الزوايا والطرق الصوفية قد أصبح منذ مطلع التسعينيات موضوع رهان سياسي- إيديولوجي فالسلطات الرسمية عملت على توظيفه في مقاومة الإسلام الأصولي المؤدلج . فكان هذا الواقع مناسبا لتعاود الزوايا والطرق الصوفية الانبعاث والانتشار ولكن ضمن رؤية مختلفة ولغايات ووظائف غير التي كان يضطلع بها في إطار المجتمع التقليدي (زمن الفترة الاستعمارية مثلا).

إن الزوايا والطرق الصوفية وفي ظل التحولات الحاصلة كان لزاما عليها اتباع استراتيجية جديدة، فعلى مستوى العلاقة القائمة بين شيوخ الزوايا والنظام القائم(السلطة السياسية) فهي على الدوام علاقة شد وجذب، تقوم بالأساس على مدى قوة الدولة أو ضعفها على العموم، فعندما تكون الدولة قوية فان الزاوية تصبح الصوت المكبر لرعاية حقوق الدولة والحفاظ عليها وعلى استمرارها، وقد تفضل البعض منها الاستكانة والاكتفاء بالصمت والمهادنة، وعندما تكون الدولة في حالة ضعف أو تمر بأزمات حادة وإعادة تشكيل لمؤسساتها فان الزوايا تعود للظهور بقوة وتتعالى الأصوات والانتقادات وتكون فرصة لتحقيق المزيد من المكاسب المادية والمعنوية. كما تعمل على استغلال هذه الظروف لتوسيع نشاطها من خلال إيجاد زوايا جديدة وإعادة بعث الزوايا الخامدة وترميمات واسعة وهذا ما يمكن ملاحظته ميدانيا في السنوات الأخيرة فالكثير من الزوايا القديمة أو الميتة تعرف حركة بعث جديدة وترميمات واسعة وعودة للنشاط الاجتماعي والثقافي، ونشهد لها حضورا قويا في المناسبات المختلفة والدينية خاصة، وقد يكون هذا من المكاسب الجديدة لمؤسسة الزوايا بعد تلك المطالب التي رفعتها هذه المؤسسة منذ مدة إلى السلطة السياسية.

وعلى الرغم من أن القانون الجزائري يفصل بشكل صريح وواضح بين العمل السياسي واستغلال الدين ورموزه المتنوعة من أي جهة كانت، فإن ذلك لم يمنع من ممارسات تتجاوز دائرة الاستغلال الحزبي للدين، في عملية التأثير والترويج، إلى ممارسات صارت تدفع بها السلطة الحاكمة نفسها، حين تمنع من جهة على المعارضات استغلال الدين، بينما تستغل السلطة النخب والفواعل والمؤسسات الدينية، بأشكالها المتعددة في جميع المجالات والمحطات تقريبا، ما سبب في فترات مختلفة حدوث صراعات سببها تجنيد تلك القوى وتوظيفها لخدمة وأهداف وتوجهات السلطة داخليا

[1] - نفس المرجع، ص 103.

وخارجيا، وبالتالي فقد باتت تلك الفواعل تؤدي وظائف وأدوار تتجاوز حدود المجال الديني الصرف إلى مجالات أخرى. ويتجلى توظيف السلطة للنخب الدينية وخاصة الزوايا والطرق الصوفية على النحو التالي.

1.5 الضبط الاجتماعي

تلعب النخب الدينية في الجزائر فضلا عن وظيفتها في التنشئة الروحية والدينية لأفراد المجتمع بحكم مكانتها الروحية وامتداداتها الاجتماعية وخاصة الزوايا والطرق الصوفية والجمعيات ذات التوجه الديني دورا حيويا في عملية الضبط الاجتماعي في المجتمع الجزائري، ما جعل السلطة السياسية تراهن على أدوارها في الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي والأمني خاصة في الحالات التي تضعف فيها قدرتها على التحكم بالأوضاع الداخلية خلال فترة الأزمات. وارتبطت الوظيفة الضبطية في سياق الحالة الجزائرية بشكل أساسي بالزاوية ككيان اجتماعي نافذ خاصة في المجتمعات التقليدية التي لازالت تحظى فيها تلك الفواعل بقدر كبير من النفوذ الروحي والاجتماعي، حيث يتجلى تأثيرها خاصة في:

- الوساطة والتحكيم والفصل في المنازعات :ففي ظل غياب شبه التام للسلطة المركزية، وتراجع مكانة مجالس القبائل وعجزها سادت أوساط المجتمع القبلي الذي يميز المجتمع الجزائري في المراحل السابقة صراعات وخلافات حادة كانت غالبا من تنشأ نتيجة الصراع حول المرعى، والأسواق وصراعات على مستوى الأفراد والأنساب وغيرها. هذه الصراعات والخلافات التي تزداد في أوقات الأزمات الاقتصادية (القحط، المجاعات...الخ)، حيث لعب بعض المرابطين الصالحين وشيوخ الزوايا بالنظر إلى ما كانوا يحتكمون عليه من سلطة روحية وزمنية تتسع باستمرار في التأثير على المتنازعين وفض الخلافات والصراعات.

إن وظيفة الوساطة والتحكيم شكلت جزءا لا يتجزأ من البنية الوظيفية التي كانت تحكم تحركات ونشاطات مؤسسة الزاوية منذ العهد الأول لتأسيسها، فقد كان شيوخ الزوايا وبحكم ما كانوا يحظون به من قداسة وهيبة يمثلون ملاذا تقصده المجموعات الضعيفة للاحتماء، و حكما يرضى بحكمه الجميع باعتبار الزاوية سلطة دينية تتموقع خارج هذه الصراعات[1].

إلى جانب ذلك؛ تساهم الجمعيات الدينية بشكل واضح في عمليات التكافل الاجتماعي، ففي ظل تدهور الحالة الاجتماعية للكثير من المواطنين، وزيادة حدة البطالة والفقر وانتشار الأمراض، وزيادة الاحتياجات الفردية والجماعية، تلجأ تلك الجمعيات كجمعية الإرشاد والإصلاح وجمعية البركة وغيرهما إلى القيام بنشاط كبير أثناء المناسبات وفي فترة الكوارث الطبيعية كالزلازل والأوبئة والظروف الخاصة، ما جعل السلطات العمومية تعترف بأدوار تلك الجمعيات

[1]- الطيب العماري، الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر: التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 15، جوان 2014، ص 132.

لتقديم الخدمات وسد حاجيات المواطنين. بالنظر لما تمتلكه من أساليب أكثر فعالية في الوصول إلى الفقراء، ومرونة في الاستجابة للاحتياجات التنموية للمجتمعات المحلية، على خلاف البيروقراطية التي تحكمها قواعد مؤسسية صارمة، في التعامل مع المشكلات.[1] وهو ما يجعل من تلك الجمعيات شريكا فاعلا في ضمان الاستقرار الاجتماعي ومساعدة السلطة على تحمل جزء من أعباء وظيفتها الاجتماعية خاصة في ظل الظروف الاقتصادية والمالية الحالية التي تمر بها الدولة نتيجة تراجع مداخيلها المالية.

2.5 الاستقرار السياسي والأمني

يعتبر الاستقرار السياسي من أهم الأهداف التي تسعى إليها الأنظمة السياسية على اختلافها بالنظر لارتباطه الوثيق بالاستقرار الأمني، ويعد غياب العنف السياسي والتداول السلمي على السلطة، وتمتع أبنية النظام ومؤسساته بالشرعية والقبول العام من أهم مؤشرات رضا المواطنين عن النظام الحاكم.

وبالنظر لما عاشته الجزائر من أزمة سياسية وأمنية حادة نتيجة توقيف المسار الانتخابي في مطلع التسعينات، وما تمخض عنها من صراع أيديولوجي وفكري استعمل فيه الدين كأداة للوصول إلى الحكم، عمدت السلطة السياسية آنذاك وفي إطار البحث عن حلول لمعضلة عدم الاستقرار السياسي والأمني للاستنجاد بالزوايا والطرق الصوفية لما تمثله من مركز للاعتدال والوسطية وباعتبارها أساس البناء الاجتماعي التقليدي للدولة[2]، كما فسحت مجال العمل السياسي لبعض الأحزاب السياسية ذات التوجه الديني المعتدل كحركة مجتمع السلم بقيادة الشيخ محفوظ نحناح وحركة النهضة بقيادة عبد الله جاب الله للانخراط في مسار عملية سياسية انتهت مع نهاية فترة التسعينات بإعادة بناء الشرعية السياسية للسلطة الحاكمة، فكانت تلك الأحزاب شريكا سياسيا في الحكم بالرغم من محدودية تمثيلها. كما كان لتلك القوى على اختلافها باستثناء التيارات الراديكالية التي انتهجت سبيل العنف للوصول إلى السلطة في مسار المصالحة الوطنية التي أثمرت عودة الاستقرار السياسي والأمني للبلاد بداية الألفية الجديدة.

3.5 الدعم السياسي للسلطة

تمارس النخب الدينية وخاصة الزوايا والطرق الصوفية في سياق الحالة الجزائرية أدوار سياسية تتمحور في مجملها حول مساندة السلطة الحاكمة، ودعم استمراريتها وبقائها، سواء من خلال تبني برامجها وتوجهاتها السياسية أو من خلال عمليات الحشد والتعبئة في الانتخابات بمستوياتها المختلفة. وتلعب الزوايا والطرق الصوفية والجمعيات ذات التوجه الديني تحديدا دورا سياسيا حاسما، بسبب تجذرها تاريخيا، وامتدادها على كامل الجغرافيا الجزائرية. ورغم

[1]- حجي فطيمة ومحمد حمو، دور الجمعيات الخيرية في الحد من الفقر: دراسة حالة ولاية برج بوعريريج، **الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية**، المجلد 12، العدد 01، ص 115.

[2]- نصر الدين باقي، دور الزوايا في الاستقرار السياسي والاجتماعي بالجزائر، **مجلة آفاق فكرية**، المجلد 03، العدد 07، 2017، ص 153.

التأرجح التاريخي في أدوار تلك النخب بين المقاومة الشعبية للاستعمار في البداية، وصدامها أحيانا مع السلطة السياسية وخاصة الأحزاب السياسية ذات التوجه الديني، فقد استطاعت السلطة الحاكمة في الجزائر فرض سيطرتها على مجمل الحقل الديني بمختلف مؤسساته وفواعله وتطويعها لخدمة أهدافها وأغراضها السياسية.

وتعتبر الزوايا والطرق الصوفية على وجه التحديد ووفقا للعديد من الباحثين أكبر من مجرد مدارس دينية تقوم بتلقين تعاليم الدين لأفراد المجتمع، بل أضحت تشكل تيارا سياسيا قويا قادرا على التأثير في سير الأحداث داخليا وخارجيا، يفوق تأثيرها في أحيان كثيرة تأثير الأحزاب السياسية. وقد اعتمد الرئيس عبد العزيز بوتفليقة منذ توليه السلطة عام 1999م على دعم هذه النخب بشكل لافت أكثر من الرؤساء السابقين، حيث اعتمد عليها في تثبيت أركان حكمه، وسعى لكسب دعمها وتأييدها لاستمراره في الحكم لعهدة ثالثة ورابعة بعد أن خرق الدستور سنة 2008م، كما استخدمها لموازنة الحركات الراديكالية والتيار السلفي بشكل عام، ففي عام 2006م عقد مؤتمر للطريقة بمدينة الأغواط ناقش فيه المشاركون آليات توظيف الرصيد المعنوي للطريقة التيجانية لمواجهة الحركات الراديكالية أو ما يعرف بالسلفية الجهادية[1].

وعلى الرغم من تواريها عن المشهد العام في البلاد خاصة مع بداية حراك الشارع الجزائري ضد السلطة السابقة، لارتباطها بمسار سلطة الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة، إلا أن الزوايا تحديدا وكثيرا من الأحزاب السياسية ذات التوجه الديني التي انبثقت عن حركات الانشقاق السياسي التي ضربت الأحزاب والحركات الإسلامية التقليدية كحركة الإصلاح الوطني وحركة العدالة والتنمية، حركة البناء الوطني وجبهة التغيير، بدأت تعود شيئا فشيئا إلى الواجهة الدينية والسياسية، لاسيما بعد بروز بوادر احتفاظ السلطة الجديدة بنفس الأهمية للزوايا، كشريك ديني يعول عليه لتحقيق التوازن مع التيارات الأخرى، ويضفي الرداء الشرعي على خياراتها وأجنداتها، وعلى الأحزاب الإسلامية المشنقة كشريك سياسي يحقق لها التوازن مع الأحزاب الإسلامية التقليدية. كما أوحى تنصيب الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون لمستشار مكلف بالجمعيات الدينية، برسالة واضحة عن احتفاظ السلطة بنفس توجهات السلطة السابقة في التعاطي مع المشهد الديني، والإبقاء على الزوايا كشريك أساسي في تحقيق التوازن مع التيارات الدينية المتنامية في البلاد، وتوظيفها في إضفاء التزكية الشرعية على الخيارات السياسية للسلطة القائمة[2].

وفضلا عمّا سبق ذكره؛ تلجأ العديد من الأنظمة السياسية إلى دعم الزوايا والحركات الصوفية والترويج لها كجزء من السياسة العامة للدولة نظرا للمكاسب المادية السياسية والدينية التي تجنيها من وراء هذه السياسية. ومع تنامي النشاط الإرهابي للجماعات والحركات الراديكالية في منطقة المغرب العربي والساحل الإفريقي تعمد كثير من الأنظمة

[1] - فتحي بولعراس، استخدامات الصوفية في التنافس الجزائري- المغربي في غرب إفريقيا: حالة التيجانية، **مجلة السياسة الدولية**، المجلد 55، العدد 220، ص64.

[2] - صابر بليدي، **الزوايا تستعيد شراكتها مع السلطة الجزائرية في صناعة المرجعية الوطنية الدينية**، موقع جريدة العرب، تاريخ التصفح: 2021/05/11 على الساعة:22:00، متوفر على الرابط التالي: https://bit.ly/3fibcog

إلى توظيف الدين والترويج لما يسمى بالإسلام الصوفي كاستراتيجية وقائية لمواجهة الفكر المتطرف والتصدي للحركات الإرهابية.

وتعد الجزائر المركز الروحي الثاني في العالم نظرا لوجود ثلاث طرق صوفية كبرى بها هي: التيجيانية وهي طريقة جزائرية من حيث الولادة والمنشأ، والطريقة القادرية التي يوجد أكثر فروعها بالجزائر، والطريقة الكونتية بأقصى جنوب الجزائر على الحدود مع مالي. وتعود علاقة النظام الجزائري بالطرق الصوفية إلى الستينيات من القرن العشرين، حيث أدرك الرئيس الراحل هوارى بومدين حينها أهمية توظيف الطرق الصوفية في سياسته الإفريقية خصوصا ما تعلق بحشد الدعم لقضايا تقرير المصير والقضايا التحريرية. وفي عام 1983 م قرر الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد نقل جثمان حفيد مؤسس الطريقة التيجانية الشيخ محمد حبيب المدفون بالسنغال منذ 1950م إلى مسقط رأسه لدفنه هناك، وفي عام 1984م نظمت الحكومة الجزائرية تجمعا لأتباع الطريقة في مسقط رأس مؤسس الطريقة بمدينة عين ماضي جنوب العاصمة، حيث حضر هذا التجمع مريدون من دول إفريقيا جنوب الصحراء وتونس ومصر[1].

خاتمة

بناءً على ما سبق التطرق إليه؛ خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج أبرزها:

- أن النخبة الدينية هي أقلية داخل المجتمع تتوفر على خصائص وقدرات ذاتية وإمكانيات أخرى موضوعية متعلقة بالمجال الديني؛ تمكنها من قيادة المجتمع والتأثير في مساره من خلال قدرتها على صناعة القرارات الدينية انطلاقا من تموقعها على هرم تنظيمات وتشكيلات معينة.

- أن النخب الدينية في المجتمع الجزائري تعتبر ظاهرة طبيعية وسليمة نشأت وتكونت عبر مراحل تاريخية مختلفة، تتميز بتعدد فواعلها ومؤسساتها وتنوع مصادر تكوينها.

- لازالت العلاقة بين الدين والسياسة تثير جدالا كبيرا بين الدراسيين وصراعا حادا في المجتمعات الإسلامية المعاصرة ومن بينها المجتمع الجزائري، فأغلب الدول في هذه المجتمعات ظهرت للوجود على أثر صيرورة إزالة الاستعمار Décolonisation التي قادتها حركات وطنية كان يتزعمها قادة ذوو نزعة غير دينية نسبيا، لكن فشل النخب الوطنية العلمانية في بلدانها أدى إلى ظهور حركات دينية تجديدية وتيارات سياسية تهيكلت في إطار جمعيات وأحزاب سياسية مختلفة؛

- لازالت الزوايا والطرق الصوفية على وجه التحديد بالرغم من تراجع تأثيرها مركز ومقر السيطرة الاجتماعية من منظور سوسيوديني، ما جعل السلطة تراهن على رصيدها ورأس مالها الروحي وتطويعها بما يخدم أهدافها السياسية.

- إن حالة عدم الثقة القائمة بين السلطة السياسية والحركات والتيارات الدينية المسيسة على وجه الخصوص، بالنظر لحداثة وغرابة بعضها عن المجتمع، جعلها تفضل التعاطي بشكل أكبر مع مؤسسة الزاوية والطرق الصوفية التي تحمل

[1]- فتحي بولعراس، مرجع سبق ذكره، ص 64.

جذورا اجتماعية وروحية عريقة، مقارنة بالجمعيات والأحزاب السياسية ذات التوجه الديني، حيث تعمل على استدعاء أدوارها بشكل دائم لمواجهة تلك الحركات التي لا تتوافق رؤاها وأهدافها مع السلطة.

- تمارس السلطة السياسية بالجزائر سيطرة واسعة ومُحكمة على المجال الديني بمختلف مؤسساته وفواعله، فللإسلام الرسمي صوتٌ قوي عبر مؤسسات الدولة، ما جعل السلطة تعمل بشكل دائم إلى احتواء تلك النخب واستغلالها بما يحقق لها أهدافا متنوعة تصب في مجملها في عملية الضبط الاجتماعي، وضمان الاستقرار السياسي والأمني ومواجهة التيارات والأيديولوجيات المعارضة داخليا وخارجيا، في مقابل دعمها ماديا واجتماعيا.

قائمة المراجع

1- باقي نصر الدين، دور الزوايا في الاستقرار السياسي والاجتماعي بالجزائر، **مجلة آفاق فكرية**، المجلد 03، العدد 07.

2- بليدي صابر، **الزوايا تستعيد شراكتها مع السلطة الجزائرية في صناعة المرجعية الوطنية الدينية**، موقع جريدة العرب، تاريخ التصفح: 2021/05/11 على الساعة:22:00، متوفر على الرابط التالي: https://bit.ly/3fibcog

3- بن محمد الجيلالي عبد الرحمن، **تاريخ الجزائر العام**، ج1 ،ط09، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

4- بوتومور توماس، **الصفوة والمجتمع: دراسة في علم الاجتماع السياسي**، تر: محمد الجوهري وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1988.

5- بودون ريمون وبوريكو فرانسوا، **المعجم النقدي في علم الاجتماع**، تر: سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

6- بولعراس فتحي، استخدامات الصوفية في التنافس الجزائري- المغربي في غرب إفريقيا: حالة التيجانية، **مجلة السياسة الدولية**، المجلد 55، العدد 220.

7- جاب الله طيب، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، **مجلة معارف**، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 14، 2013.

8- جويرو زهية، **الاسلام الشعبي**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،2007 .

9- وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ،**بطاقة فنية للمدرسة الوطنية والمعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية**، تاريخ التصفح: 2021/03/03 ، متوفر على الرابط التالي: https://bit.ly/33bll0m

10- حجي فطيمة وحمو محمد، دور الجمعيات الخيرية في الحد من الفقر: دراسة حالة ولاية برج بوعريريج، **الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية**، المجلد 12، العدد 01.

10- حضري فضيل، مستويات الدين وأشكال التدين: محاولة تصنيفية، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، العدد 11، 2011.

11- كبار عبد الله، النخبة الجامعية والمجتمع المدني في الجزائر: قراءة سوسيولوجية في جدلية الواقع والممارسة، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، العدد 11، جوان 2013.

12- لبيب، الطاهر، **سوسيولوجيا الثقافة**، دار الملتقى، المحمدية، تونس، 2006.

13- مبروك أمل، **فلسفة الدين**، ط2، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2009.

14- مكي ثروت، **النخبة السياسية والتغير الاجتماعي**، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2005.

15- نسيب محمد، **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر، الجزائر،.1989

16- سعادة مولود، النخبة والمجتمع: تجدد الرهانات، **مجلة الباحث الاجتماعي**، العدد 10، سبتمبر2010.

17- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، طبعة خاصة، دار البصائر، 2007.

18- العماري الطيب، الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر: التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 15، جوان.

19- تركي رابح، **الشيخ عبد الحميد ابن باديس - رائد الإصلاح والتربية في الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.

20- Bouhdiba Abdelwaheb, **culture et société,** publication de l'université de Tunis**, Tunis**, 1978.

21- Mahfoud Smati, **Les élites algériennes sous la colonisation**, Ed DAHLAB, Réghaia, Algérie, 2009.